http://www.almadapaper.com - E-mail: almada@almadapaper.com ◆ العدد (1746) السنة السابعة - الثلاثاء (16) آذار 2010

لكـــي لا ننســـــى قيـامـــة حلبجـــــة

كاظم الجماسي

Kjamasi59@yahoo.com

ظل الجبابرة والطغاة عبر صفحات التاريخ الانساني يعتنقون عقائد مدمرة تقف على طرفي نقيض مع كل ما يمت للإنسانية بصلة، ومعادلتهم في ادارة امور البشر تنحاز على الدوام الى مصالحهم الاكثر أنانية ودناءة، بصرف النظر عن فداحة النتائج ومايمكن ان تخلفه من كوارث وخيمة.

وتخبرنا حوادث التاريخ وايامه ان جبابرة الرومان قتلوا وشردوا شعوبا بأكملها، مثلما فعل اشباههم من المغول وكذلك النازيين والفاشيين وغيرهم من أساطين الدم والدمار، ولعل المفهوم الاشد أيلاما وجرحا لأعماق النفس البشرية، مفهوم الارض المحروقة الذي ساد في اعقاب الحرب العالمية الثانية التي ضجت سنواتها الخمس بالمخزي والمعيب من الكوارث البشرية التي يندى لها جبين البشر، لعل ذلك المفهوم كان ثمرة فجة لعقل الشر المتمكن في نفوس الطغاة والجبابرة.

كانت القرى الكردية الواقعة على تخوم المدينة الباسلة السليمانية التي ظل النظام الصدامي اللعين يعدها شوكة في بلعومه النتن مثلما هي مدن وقصبات كردستان العزيزة، تعاني ويلات حروب الطاغية المتصلة، وظلت تلك القرى التي تضمها مدينة حلبجة الحدودية والتي يسكنها أناس مدنيون مسالمون ساحة حرب غير عادلة أبداً ليس لأولئك الناس فيها ناقة او جمل، سوى ان شراهة الاستبداد التي لن تشبع أوترتوي أبداً من دماء الابرياء، وجدت ان سكون وراحة أولئك البسطاء الكرد من شعبنا المضام تهديد جدي وخطير لسلطتها المجرمة.

في السادس عشر من آذار العام ١٩٨٨ وقبيل ان تلقي الحرب العراقية الايرانية اوزارها، توج الطاغية جرائمه بحق الكرد بجريمة شنعاء تندرمثيلاتها في سجل جرائم الطغاة عبر التاريخ، اذ باشرت اسراب طائراته المقاتلة ولثلاثة ايام بلياليها بإلقاء احمالها القذرة من الغازات السامة على القرى والاحياء في مدينة حلبجة التي يقطنها سكان فقراء مسالمون، وقامت قيامة المدينة اذ اختفت كل ذرة هواء نقية وحل محلها غاز خانق راح الاطفال والشيوخ والرجال والنساء يستنشقونه فيتساقطون صرعى واحداً تلو الآخر على قارعات الطرق والازقة وفي حجرات البيوت، وراحت ماشيتهم وحيواناتهم الاليفة تتساقط هي الاخرى صرعى من دون ان تفقه ان هناك إلهاً طاغياً شريراً أمر جلاوزته بحرق الزرع والضرع، حتى لم يبق عصفور على غصن او زهرة في بستان..

لقد كانت واحدة من ابشع جرائم الابادة الجماعية، فتكت بحياة اكثر من خمسة آلاف روح بشرية وخلفت اكثر من اثني عشر الفا من الجرحى والمصابين والمشردين، فضلا عن ابادة اضعاف تلك الارقام من الحيوانات، ومساحات شاسعة من المزروعات والمياه الملوثة.. عدا التأثيرات الوراثية التي لم تسلم منها الولادات حتى الساعة.

اليوم يمر على تلك الجريمة الاليمة اكثر من ثلاثة وعشرين عاما، ولكي لاننسى او نتجاهل مايمكن ان يقترفه الاستبداد ومايمكن ان تفعله الديكتاتورية علينا ان نذكر ونتذكر اية وحشية واي قبح مكتمل خلفته واقعة حلبجة المدينة الشهيدة، وكذلك علينا ان نوقن ان لابديل للنظام الديمقراطي الفيدرالي التعددي منهجا وطريقا لتحقيق رفاه وازدهار شعبنا.

احتفالات كبيرة بعد أن اقتصّت العدالة من سفّاحها
أحـداث مدينـة حلبجـة كمـا يرويهـا ضـباط شـاركوا في قصـفها

بغداد / سها الشيخلي

حلبجة مدينة أنعم الله عليها بنعمة الجمال،تحتضنها جبال كردستان بطبيعتها الساحرة.. تتوسد بساطاً سندسياً أبدعت أنامل الألوان في نسجه، وتلتحف غطاء صافياً بزرقته لم تتوقع ان ينزل عليها الدمار منه، تقع المدينة ٨١كم جنوب شرق السليمانية وتبعد بمسافة٢٦٤كم شمال شرق العاصمة بغداد، تمر اليوم الذكرى الثانية والعشرون على تدميرها من قبل جلاوزة النظام المقبور، وهي اليوم تشعر ببعض الارتياح بعد ان أخذ القضاء العراقي ثأرها بإعدام قاتل أطفالها ونسائها وشيوخها وشجرها وجبالها المجرم علي حسن المجيد بعد ان قام بدك مدينة الجمال بنيران المدافع ليحرقها واهلها بالاسلحة الكيمياوية ليتحول اسمه في ارشيف الاجرام الى (علي كيمياوي).. فما قصة هذه المدينة الكردية الآمنة التي روعتها اصوات هدير المجنزرات ودوي المدافع وازيز الطائرات السمتية قبل اكثر من عشرين عاما، كانت هذه المسافة الزمنية كافية لتغير كل شيء في البلاد.

من منجزات المجرم علي كيمياوي

آثار لم تمحها الايام

في سفرتي الاخيرة الى اربيل التقيت السيدة سليمة (٥٠ سنة) التي جلست قرب القلعة التاريخية عارضة مجموعة من اغطية الرأس النسائية وكذلك الرجالية منها المسماة (المشكي والعرقجين المطرز) وعندما طلبت منها ان تناولني ذلك الحجاب الذي كان بلون القوز قزح وجدتها بذراع واحدة، وعندما قامت لتستدير استندت على عكاز طبي، احزنني عوق تلك السيدة التي تحمل ملامحها صور المأساة، سألتها ما أسباب ذلك العوق قالت انها مذبحة حلبجة التي طالت الكثير من أهلها،شأنهم شأن الأشجار والطيور والحيوانات التي نفقت التي لم تسلم هي الاخرى، جراء الآثار المدمرة التي طالت المدينة، وبلغة الحزن قالت:

كان عمري آنذاك ٢٧ عاما كنت احمل طفلي الصغير على كتفي في باحة الدار عندما دوى انفجار هائل هز المنطقة وتطايرت اشلاء الجميع وشاهدت الغرفة التي كان ينام فيها زوجي قد تساوت مع الارض، وسقطت على الارض مغشيا علي وعندما صحوت وجدت نفسي مع مرضى آخرين في مستشفى متنقل لمنظمة الصليب الاحمر و التقت قلم اجد ساقي اليمنى ولا احدى الذراعين، بكيت من هول الصدمة الا ان الطبيبة المعالجة هونت علي الامر وطلبت مني الهدوء. وبعد يومين تم نقلي الى مستشفى اربيل العام، وهناك طلبت الاتصال بشقيقتي وزوجها اللذين جاءا لتسلمي،وسرعان ما تماثلت للشفاء الا ان الآثار التي حملتها وعوقي وحياتي بدون ذراع ولا ساق جعلتني لا أنسى تلك الفاجعة، اعتمدت على نفسي واخذت اعمل بائعة للحجاب النسائي واشياء اخرى بسيطة،

لقد أعجبني من السيدة المتحدثة قوة عشقها للحياة وصلابة موقفها، واكدت سليمة ان العدالة السماوية لم تترك الجاني يتنعم دون قصاص يستحقه ذلك المجرم. مبينة ان الموت شنقا للقاتل عقاب قليل بحقه وكانت تتمنى أن تراه مقطع الاوصال كما هو حالها الآن. ومع ذلك هي الان تشارك الجميع من المعوقين امثالها فرحهم بعد ان شاهدوا حبل المشنقة يلتف حول رقبة المجرم علي كيمياوي وان ذلك اليوم كان انتصارا لارادة المظلومين. وتؤكد سليمة ان الناجين قد اصيبوا بأمراض نفسية عديدة من هول الصدمة ومن غاز الخردل والكيمياوي الذي تعرضوا له.

استخدام غاز الخردل

التقينا اللواء الركن (....) الذي كان احد المشاركين في الهجوم على حلبجة حيث قال:

تعرضت مدينة حلبجة والمنطقة المحيطة بها الى هجوم من قبل الجيش العراقي مستخدما القنابل ونيران المدافع والاسلحة الكيمياوية وتم تدمير البلدة بالكامل.. ومات نتيجة هذا الهجوم ما لايقل عن خمسة آلاف شخص واستمر الهجوم ثلاثة ايام ادى الى ارتفاع القتلى الى ١٢ الف شخص..وكان الهجوم قد تضمن استخدام غاز الخردل وغاز الاعصاب والسلاح الكيمياوي السيانيد في الهجوم، وكنت ضمن الحملة سيئة السمعة التي اطلق عليها (حملة الانفال) التي قمعت الثورات الكردية في شمال العراق اثناء الحرب العراقية الايرانية. وتشير التقارير الى ان (صدام) هاجم بالأسلحة الكيمياوية ٢٤ قرية.. وان الاسلحة التي استخدمت تم الحصول عليها من شركات امريكية وبريطانية وفرنسية وألمانية وصينية.. ويذكر معهد ستوكهولم لابحاث السلام الدولي ان استيراد العراق للاسلحة ما بين عامي ١٩٧٣ و٢٠٠٢ توزع احصائيا من الدول كما يأتي: ٥٧٪ من روسيا،الاتحاد السوفياتي السابق ، ١٣٪ من فرنسا ، ١٢٪ من الصين ، ١٪ من امريكا واقل من ١٪ من بريطانيا.

ويضيف اللواء قائلا:

كانت الأخبار تردنا من ان القوات الايرانية قد دخلت مدينة حلبجة وانها بصدد الاستيلاء عليها وضمها الى الاراضي الايرانية كماوردتنا الاخبار والتي تزامنت معها الكثير من الشائعات المغرضة كان وراءها أزلام النظام السابق،الغرض منها ايجاد ذريعة لضرب الاكراد والمقبين من قبل النظام السابق بـ (العصاة) والذين كانوا يشكلون مصدر ازعاج للحكومة السابقة. ورغم وجود القلة من الضباط الاكراد في القوات الخاصة الا ان اغلبيتهم كانوا مستائين اشد الاستياء من تلك الاحداث غير ان الخوف من بطش الحزب وقادته كان كافيا لان يلتزم الجميع بالصمت..

مضيفا بان القطعات العسكرية تلقت الاوامر للتوجه الى منطقة وفق خطوط عرض مرسومة على خارطة عسكرية مرمزة بمايسمى (الجفرة) المستعملة، وادركت ساعتها بدون اي تخمين ان وجهتنا هي مدينة حلبجة، إذ توجهنا الى السمتيات وكان زميلي من اهالي حلبجة الذي لم يتمالك نفسه فأخذ يصرخ وتم اقتياده الى غرفة الأمر ولم نشاهده بعدها.. وبعد اقترابنا من المدينة وجدناها مخربة والقناصة منتشرين على سطوح المنازل وألقينا المنشورات التي كانت معدة مسبقا،و طالبنا بها اهالي المدينة بأن يتركوها ويلجأوا الى الجبال القريبة من المدينة الا ان البعض منهم لم يمتثل لتلك الاوامر.. وجات المدفعية وقصفت المدينة بشدة لمدة ثلاثة ايام متوالية ففر الاهالي الى القرى المجاورة والبعض غادر الى الاراضي الايرانية سيرا على الاقدام.. كما انسحب قسم من أفراد المقاومة الذين كانوا قد لعبوا دورا كبيرا في تضليل كل من القوات العراقية والايرانية على حد سواء.

وبشأن التعتيم على ضرب المدينة بالكيمياوي من قبل النظام السابق حينذاك،افاد اللواء بحدوث ذلك بالفعل لتفادي ضربات المقاومة التي كانت تدافع عن المدينة، والذين كانوا يختبئون في المنازل وفي المدارس ومسجد المدينة، وحينها وردت

الى الجيش اوامر من علي حسن المجيد بضرب المدينة بالسلاح الكيمياوي فامتثل الاغلبية وعارضها البعض وكان مصير المعارضين الرمي بالرصاص في ارض المعركة.. وقد ساهمت في احداث تلك المعركة ثلاثة ألوية من القوات الخاصة المظلية إلى جانب سلاح الطيران والمدفعية.

وتم ضرب المدينة بالسلاح الكيمياوي وغاز الخردل ومحلول كلوريد السيانوجين ومات الصغار والكبار ونفقت الحيوانات. وبعد انتهاء المعركة جاءت منظمات دولية ونقلت بعض الاطفال والنساء والشيوخ المصابين بالسلاح الكيمياوي الى روسيا وفرنسا. وكانت التقارير تشير الى ان السلاح المستخدم في المعركة كان من النوع الذي يستخدمه الجيش العراقي.

دور القاتل علي كيمياوي

وحدثنا المقدم (....) من القوات خاصة المدفعية قائلا:

حضر في اليوم الثاني لبدء الهجوم (الفريق الأول الركن علي حسن المجيد آنذاك) وكان في غاية العصبية ترجل من (السمتية التي نقلته) واخذ يسب ويشتم بطريقة (سوقية) وصار يسأل عن تأخر انتهاء المعركة فهمس له الآمر ببعض الكلمات فرمى عقب سيكارته على الارض وداسها بحذائه (بسطاله العسكري) بعصبية وقال ليذهبوا الى الجحيم.. هم دفعونا الى ذلك..

وبعد دقائق علمنا ان علي حسن المجيد جاء لتنفيذ اوامر القيادة العسكرية بضرب المنطقة بالسلاح الكيمياوي الا ان الامر طلب مهلة لساعات لإخلاء المدينة من سكانها لكن علي كيمياوي رفض ذلك بشدة.. وتم توجيه نداء عبر مكبرات الصوت باللغتين العربية والكردية بوجوب إخلاء المدينة ففرت العوائل تحمل أطفالها وأمتعتها إلى الجبال القريبة وفضل البعض منهم السير على الاقدام للوصول الى الحدود الايرانية، فيما بقي العجزة والمسنون يفترشون الأرض وهم في اشد حالات الرعب وكانوا يصرخون ويطلبون النجدة من افراد الجيش.. وتقدم جندي ليساعد امرأة عجوزاً على النهوض للحاق بأسرتها فلم يعجب ذلك المنظر الانساني علي حسن المجيد فما كان منه الا ان يرمي الجندي والعجوز بوابل من الرصاص من مسدسه الشخصي فأرداهما قتيلين، و بكل برودة اعصاب اخذ يدخن سيكاره!

الجلسة ٣٧ للمحكمة

وعقدت المحكمة الجنائية العراقية العليا اولى جلساتها في ٢١ كانون الاول من عام ٢٠٠٨ للنظر في قضية القصف الكيمياوي لمدينة حلبجة ومحاكمة المتهمين فيها، وبعد الجلسة ٣٧ لملف القضية والتي جرت يوم ١٧ كانون الثاني ٢٠١٠ قررت المحكمة اصدار حكم الاعدام ضد المتهم الرئيسي في القضية علي حسن المجيد الملقب (علي كيمياوي) وكل من سلطان هاشم، فرحان مطلك، وصابر الدوري، وتم اعدام علي حسن المجيد يوم ٢٥ كانون الثاني عام ٢٠١٠.

وتم اعتبار قضية حلبجة من قبل المحكمة بـ (الجرائم ضد البشرية) وليس بـ (الإبادة الجماعية) في إطار المادة ١٢ من قانون رقم ١٠ لسنة ٢٠٠٥ من المحكمة الجنائية العراقية العليا ، ما أثار غضب عوائل ضحايا المدينة وفريق محامي الدفاع عنهم ، وفي ٢٧ كانون الثاني من عام ٢٠١٠ قررت هيئة التمييز اعادة النظر في القرار هذا وطالبت بتغيير المادة الى ١١ من نفس القانون الخاص بـ (الإبادة الجماعية)، كما قررت محكمة التمييز العراقية بإجماع الرأي والأصوات باعتبار جريمة حلبجة إبادة جماعية.

ثلاثة أشهر يأكلون من الصدقات

وفي أثناء محاكمة المجرم علي كيمياوي تحدث مواطنون عن الاهوال التي مرت على المدينة وعن حجم الدمار والخراب الذي حل بها، حيث الجثث كانت

في الشوارع والاطفال يصرخون والامهات يحملن الاطفال الرضع(وهن سائرات صوب الجبل لكي يحتمين بالكهوف من نيران المعركة ومن الجو الخانق الذي انتشر في المدينة بعد ضربها بغاز الخردل.. وكانت النساء الفارات من المدينة قد حملن الصغار الرضع وقد ترك البعض من العوائل الاطفال الصغار في العراء لصعوبة ركضهم وفرارهم من نيران المدفعية، وسار البعض صوب الحدود الايرانية في اول الامر ولم يذهبوا الى الجبال لخوفهم من ملاحقة الجيش لهم،واحدة من الشهود ذكرت في المحكمة بأننا سرنا لمسافات طويلة حتى أتعبنا الجوع والعطش وكان الاطفال يصرخون (ماما لا تتركيني. اريد ان ابقى معك) و ان اغلب العوائل لا تقوى على حمل اطفالها الصغار فكانوا يتركونهم في العراء وحدهم تحت رحمة الاقدار) وتتحدث شاهدة اخرى قائلة:

كنت أضم طفلي الى صدري وامسك باثنين آخرين من أولادي أما والدهم فقد كان جنديا في الجيش.. وعندما حل الظلام.. اوقدنا نارا لكي لا تقترب منا الذئاب.. كنا مجموعة من العوائل وكان هناك طفل يبكي بألم لان والده الذي يسير على ساق واحدة لم يستطع اللحاق بنا فسقط برصاص المعركة.. واخذت ذلك الطفل الذي كان بعمر ٩ سنوات وضممته الى اولادي وما زال معي الى الآن.. وبعد مسيرة ثلاثة ايام وصلنا الى قرية ايرانية على الحدود وذهبنا الى مسجد تلك القرية وتكفلنا امام المسجد وقدم لنا الطعام وقال لنا انتم بين اهلكم ولا تخشوا شيئا.. وبقينا في تلك القرية ثلاثة اشهر كنا نأكل (الصدقات) من أهل القرية ومن المسجد.. وبعد مضي ٣ اشهر عدنا الى قريتنا فوجدناها مدمرة تماما وجميع ماتركناه في المنازل قد نهب.

تشوهات جنينية

وحاول بعض السكان الاختباء من السلاح الكيمياوي باللجوء الى مخابئ تحت الارض دون ان يدركوا ان الغازات الكيميائية السامة كثافتها اعلى من الهواء فتسربت اليهم وقتلتهم.. وحاول آخرون الفرار لكن سحب الابخرة السامة حاصرتهم وشاهد العالم صورا مؤلمة لجثث امهات مع اطفالهن الرضع ملقاة وسط الطرقات.. ولا تزال آثار مذبحة حلبجة مستمرة حتى اليوم.. اذ يعاني الكثيرون من الناجين من امراض ناتجة عن تعرضهم للغازات السامة وتنتشر بين هؤلاء متاعب الجهاز التنفسي وامراض العيون..

ويقول الاطباء ان معدلات الاصابة بالاورام السرطانية وتشوه المواليد لا تزال مرتفعة للغاية في حلبجة مقارنة بالمناطق الاخرى.. ويخشى على سكان البلدة الذين اصيبوا بتشوهات جنينية ان تتوارثها عدة اجيال.

وعند تطبيق الحكم العادل بحق المجرم علي حسن المجيد (الإعدام شنقا حتى الموت) لبست مدينة حلبجة حلتها وزينتها بأجمل زينة وأقيمت الاحتفالات والدبكات الكردية بهذه المناسبة التي كان ينتظرها جميع من فقد الاهل والاصقاء وان كانت المدينة بأسرها قد أبيدت مع قرى اخرى مجاورة بسبب إجرام علي كيمياوي.

احتفالات لإحياء الذكرى

وطالب رئيس تجمع ضحايا القصف الكيمياوي لمدينة حلبجة بأن تكون مراسيم احياء هذا العام خاصة وغير كلاسيكية وتتضمن توزيع جوائز للذين قاموا بدفن ألضحايا في ١٦ آذار/ مارس عام ١٩٨٨، وقال احد ضحايا القصف الكيمياوي عبد القادر ويس انه فقد عمل رئتيه بنحو ١٦٪ وانه شاهد حي لهذه الفاجعة وان تعاطيه للادوية والحبوب والحقن اصبح شيئا ملازما لحياته وأضاف ويس الذي فقد ثمانية من افراد عائلته جراء ذلك القصف الوحشي (مرت على ذكرى فاجعة حلبجة ٢٢ عاما ولم نقم بإحياء مراسيم مهيبة ونموذجية لها، تكون بمستوى حجم الكارثة التي تعرضت لها المدينة).

وقد ذكر مدير ذكرى مدينة حلبجة سرخيل غفار في تصريحات اعلامية ان وزارة الشهداء والمؤنفلين في حكومة كردستان تكون مسؤولة عن إحياء هذه الذكرى وتشرف على المراسيم وان عدة لجان تشكلت لإحياء هذه الذكرى منها اللجنة العليا للمهرجان والاعلام والتقييم والمالية والاستقبال وهم قد عملوا بشكل منتظم، وقد طالب اهالي مدينة حلبجة التعريف بالفاجعة عالميا، ويرى المراقبون ان قرار المحكمة الجنائية العراقية العليا في آذار الماضي مهم جدا لاعتباره القضية (إبادة جماعية).

النصب الذي يؤرخ الفاجعة

أحاديث ذات شجون يرويها الناجون

شموع وصلوات على أرواح الشهداء